لاترافياتا .. جبوسيبي فردي

Giuseppe Verdi LA TRAVIATA

تقوم هذه الأوبرا على مسرحية «غادة الكاميليا» La Dame aux Camelias للكاتب الفرنسي «ألكسندر دوماس» (الابن) Alexandre Dumas. وهذه المسرحية التي تعرف اليوم باسم «كاميليا» Camille اقتبسها «دوماس» بدوره من قصة له تحمل نفس الاسم، وهي القصة التي أثارت عاصفة من الإعجاب عند ظهورها عام ١٨٤٨. وقد استوحى دوماس قصته من واقع الحياة: فقد كانت هناك غانية فرنسية تدعى «الفونسين بليسيس» Alphonsine Plessis ظلت تعيش عيشة عبث وصخب حتى ماتت بالسل عام ١٨٤٧. وقد نظم كلمات الأوبرا «فرانشسكو بيافي» Francesco Piave ووضع ألحانها الموسيقي الإيطالي المعروف «جيوسيبي فردي» Giuseppe Verdi وكلمة «لاترافياتا» بالإيطالية معناها «الضالة» أو «الساقطة».

شخصيات الأوبرا:

فيوليتا: غانية عابثة — Violetta

فلورا: صديقتها — Flora

الفيكونت جاستون: من نبلاء فرنسا — Vict. Gastone

ألفريدو: شاب باريسي، وعاشق فيوليتا Alfredo

البارون دوفول: غريم ألفريدو Baron Douphol

جورجيو جيرمون: والد ألفريدو Giorgio Germont

الدكتور جرنفيل: طبيب فيوليتا Dr. Grenvil

زمن الأوبرا: حوالي عام ١٨٥٠

المكان: باريس

الفصل الأول

المنظر - غرفة استقبال في منزل فيوليتا

ترفع الستار عن فيوليتا الغانية الجميلة وهي تستقبل مدعويها للحفل الذي أقامته لهم، وبعد قليل تصل صديقتها «فلورا» فتقف بجوارها وتسألها:

فلورا: ترى هل يسرك الحفل الذي تقيمينه اليوم؟

فيوليتا: إن السرور هو الدواء الوحيد لما بي من علل وأسقام!

ثم يدخل «الفيكونت جاستون» وبصحبته صديق شاب يدعى «ألفريدو»، وإذ يقدمه إلى فيوليتا يقول لها:

الفيكونت جاستون: إن هذا الشاب معجب بك. ولقد كان يأتي كل يوم للسؤال عنك أثناء مرضك.

وتدعو فيوليتا ضيوفها للرقص في القاعة، ولكن سرعان ما تنتابها نوبة المرض، فتلقي بنفسها في تهالك على الأريكة. ويتجمع حولها كثيرون لمساعدتها. غير أنها ترجوهم الانصراف للرقص، مؤكدة إنها سوف تلحق بهم بعد قليل.

وتنبعث أنغام الموسيقى الراقصة من القاعة، في حين تبقى فيوليتا وحيدة في الغرفة، تنظر إلى وجهها الشاحب في المرآة. هنا يقترب منها «ألفريدو» قائلا:

ألفريدو: إن هذه الحياة التي تعيشينها سوف تقضى عليك. لكم تمنيت أن تكوني ملكا لي لأحافظ عليك!.. دعيني أبوح لك بحبي الذي نبت في قلبي منذ عام مضى!..

ويمضى الحبيب الوله يسرف في التعبير عن شعوره نحوها ويسكب في أذنيها كلمات عذبة لم تتعود سماعها من قبل. لكن فيوليتا ترتاب في إخلاصه.

فيوليتا: يخيل إلي أنك ستنساني سريعا!

ثم تقدم إليه وردة وهي تردف قائلة:

فيوليتا: ردها إلي إذا ذبلت!

ويقبل ألفريدو يدها ثم ينصرف. وهنا يقبل المدعوون يستأذنون في الانصراف ثم يغادرون الغرفة..

ويوشك الفجر أن يطل من السماء وفيوليتا جالسة تفكر في ذلك الشعور الجديد الذي بدأ يجتاحها. ترى هل أحبت ذلك الشاب الذي جاء يعرض حبه عليها؟.. إنها لأول مرة تعثر على الشخص الذي يحب روحها دون أن يطمع في جسدها!

الفصل الثاني

المنظر - حديقة في منزل فيوليتا بالريف

تمضى فيوليتا مع حبيبها ألفريدو ثلاثة شهور في منزلها الريفي قرب باريس، بعيدا عن حياة العاصمة الصاخبة الساطعة. وهي الآن تسأل خادمتها إذا كانت قد رأت ألفريدو منذ خرج في الصباح، فتجيب الخادمة بالنفي وتضيف أن بالباب زائرا.

ولشد ما تكون دهشة فيوليتا عندما يتقدم منها الزائر ويقول أنه والد ألفريدو:

– إن ابني الآن في طريقه إلى الدمار. إنه يهب لك تدريجيا كل ما يملك!

ويعز على فيوليتا هذا القول، فتبرز له أوراقا تثبت أنها تبيع مجوهراتها للإنفاق على حبيبها. ثم تزيد قائلة:

فيوليتا: إنني أحب ألفريدو، وأشعر بأن الله قد صفح عني بعد أن سلكت طريق التوبة!

والد ألفريدو: ولكنك تحولين دون سعادة ابنتي. فهي لاترافياتا لن تتزوج ما لم تطلقي سراح ألفريدو وتخلصي اسمنا من هذا العار!

فيوليتا: إنك يا سيدي لا تعرف مقدار حبي لألفريدو!

ويظل الأب يتوسل إليها أن تتنازل عن حبها، فتضحي في النهاية بسعادتها في سبيل سعادة أخت ألفريدو التي توشك على الزواج. ثم تترك خطابا لحبيبها وتغادر القرية إلى باريس لتعود مرغمة إلى حياتها الأولى.

ويعود ألفريدو من الخارج فيكتشف رحيل فيوليتا، ويعلم أنها ذهبت إلى منزل صديقتها فلورا في باريس. يعلم ذلك من دعوة موجهة إليه هو وفيوليتا، فيظن أنها تركته لحنينها إلى سيرتها الأولى!

الفصل الثالث

المنظر - شرفة في منزل فلورا بباريس

تقول فلورا لمدعويها في الحفل الذي أقامته لهم انهار أرسلت دعوة لفيوليتا وألفريدو لحضور الحفل، ولكن أحد المدعوين يتساءل:

– هلا وصلتكم الأخبار؟.. لقد افترقا!

وتتعالى أصوات المغنيات اللاتي أحضرتهن فلورا لإحياء الحفل..

وفجأة يظهر ألفريدو الذي جاء يتعقب حبيبته ظنا منه أنها هجرته بعد أن ملت عشرته. ثم يتقدم من جماعة المقامرين وينضم إليهم.

وفي هذه اللحظة تدخل فيوليتا وقد أمسكت بذراع «البارون دوفول» الذي لا يكاد يقع بصره على ألفريدو حتى تتأجج في صدره نيران الغيرة ويحذرها من التحدث إليه!

ومرة أخرى تنبعث من الداخل صيحات المرح والضحك والغناء.

ويثير حظ ألفريدو في اللعب حقد البارون دوفول فيدعوه للنزال! ولكن ألفريدو يهزمه هزيمة ساحقة فيقول البارون متحديا:

البارون دوفول: سوف أنتقم لنفسي مرة ثانية!

ويقبل ألفريدو تحديه. وبعد قليل ينصرف المدعوون لتناول العشاء.

وهنا تدخل فيوليتا وقد تملكها قلق شديد. لقد أتت لتحذر الفريدة من المبارزة مع البارون حرصا على حياته.

لكن ألفريدو يجيبها قائلا:

ألفريدو: سوف لا أنسحب إلا إذا عدت معي!

فيوليتا: ولكنني أقسمت إلا أراك!

ألفريدو: ومن الذي اضطرك إلى هذا القسم؟..البارون دوفول؟

ولا يسع فيوليتا إلا أن تخفى عليه الحقيقة فتجيب مرغمة:

– نعم!

وهنا تنتاب ألفريدو ثورة جامحة، فيدعو جميع المدعوين ويقول لهم صائحا كالمجنون:

ألفريدو: هذه هي المرأة التي أنفقت على كل ثروتها... والآن، اشهدوا على أنني أوفيت لها كل ديوني!.. وفي حركة عصبية حانقة يلقي بحافظة نقوده على الأرض.

الفصل الرابع

المنظر - غرفة النوم بمنزل فيوليتا

تعتزل فيوليتا حياة الصخب والسمر وتقطن في مسكن متواضع في أحد أحياء باريس الفقيرة. وهي الآن مريضة استشرت الحمى في جسدها، فرقدت تنتظر وصول الطبيب الذي يقوم على علاجها، ويقبل الطبيب فيعاونها على النهوض من الفراش وهو يقول لها:

الطبيب: تشجعي، فسوف تبرئين عن قريب!

لكن فيوليتا تدرك أنه إنما يموه عليها الحقيقة، فتشكره وترجوه أن يتركها بمفردها.

ويكون ألفريدو قد علم بحقيقة كل ما حدث، وبأن فيوليتا إنما هربت من أجله، فيأتي ليستغفرها. وتحاول المريضة أن تنهض عندما تراه، ولكن قواها تخور فتتهالك ثانية على الفراش. ويرتاع ألفريدو لمنظر حبيبته الذابلة، فيطلب من الخادمة أن تستدعي الطبيب على الفور، ولكن فيوليتا تمنعه قائلة:

فيوليتا: إذا كان مجيئك لا ينقذني، فليست هناك قوة في الوجود قادرة على إنقاذي!

ثم تستجمع قواها، وتنهض وهي مجموعة من الفراش.

وإذ تنجح في التحامل على قدميها، تبتهل إلى الله ألا يدعها تموت في مثل هذه السن الباكرة.

وفي هذه اللحظة يدخل والد ألفريدو، لقد تبين ما في فعلتها من سمو ونبل، فجاء يطلب منها أن تعيش معه كابنة له.

فيوليتا: وا أسفاه!.. لقد جئت متأخرا..

ثم تقدم إليه صورتها وتستطرد قائلة:

فيوليتا: إذا تزوج ألفريدو في يوم من الأيام، فقدمها لزوجته، وقل لها أن صاحبتها تدعو لهما بالتوفيق!

وهنا يظهر الطبيب بالباب، فتصيح فيوليتا وهي في سكرة الموت:

فيوليتا: غريب ذلك الشعور الذي أحس به الآن!... إنني أحس قوة جديدة.. إنها الحياة تسري في بدني من جديد...

ثم تطلق صيحة ترتمي بعدها على الأرض وقد فارقت الحياة...

ستار